الفخم، تستمع إليه فيروقك معناه، وتعجبك حلته المتينة النسج، التي لم يضح صاحبها بجودتها في سبيل زخرف أو زينة، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي، والذي ساعده على ذلك ثقافة واسعة من مأثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفحولهم". (من مقدمة الديوان للأستاذ حامد عبد المجيد).

قيمة الرجل وآراء القدماء والمحدثين فيه

تنبع قيمة الرجل من كونه جاء في أيام العسرة والضيق، وأمته أحوج ما تكون إلى أمثاله، فعاش حياته العريضة تلك متجشماً الأهوال في سبيل الذود عن حمى العروبة والإسلام، وترك دوياً شديداً في دنيا البطولة كما ترك تراثاً ضخماً في عالم الأدب والشعر، ويكفيه فخراً أنه خلّد أمارة آبائه وأجداده أثر زوالها، في كتاب ممتع شيق. وجعلها تعيش في أذهان الناس كما كانت في أبان مجدها وعزها.. ولعمري فقد أحيا أمارة (شيزر) بعد موتها، وما كان لأحد أن يحس بها لولا جهده الرائع في كتابه (الاعتبار) ولكل ذلك فقد استحق تقريظ أهل زمانه ومعاصريه الذين أنصفوه.

وصفه (الذهبي) في كتابه (تاريخ الإسلام) فقال:

"أحد أبطال الإسلام ورئيس الشعراء الأعلام".

أما (ياقوت الحموي) فيقول في كتابه (معجم الأدباء):

"وفي بني منقذ جماعة من أمراء شعراء، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم".

وقال (العماد الأصفهاني): "وأسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه".

أما الحافظ بن عساكر فيقول: "اجتمعت به بدمشق وأنشدني قصائد من شعره 558هـ وقال (أبو عبد الله محمد بن الحسين بن الملحي): إن الأمير مؤيد الدولة أسامة شاعر أهل الدهر مالك عنان النظم والنثر متصرف بمعانيه لاحق بطبقة أبيه، ليس يستقصى وصفه بمعان، ولا يعبر عن شرحها بلسان.

فقصائده الطوال لا يفرق بينها وبين شعر ابن الوليد، ولا ينكر على منشدها نسبتها إلى لبيد. وهي على طرف لسانه بحسن بيانه غير محتفل بطولها ولا يتعثر لفظه العالي في شيء من فضولها، وأما المقطعات فأحلى من